بيت المقدس أرض المعجزات

إن من يقرأ القرآن الكريم والسنة المطهرة يجد أن بيت المقدس هو أكثر بقعة على الأرض حدثت عليها ومن أجلها المعجزات ، وخوارق العادات ، وتغيرت من أجلها نواميس الكون .

وكل ذلك حدث من أجل هذه الأرض المباركة والقرآن والسنة يسجلان العديد من هذه المعجزات التي وقعت على هذه الأرض ، فأكثر من ثلاثين معجزة على هذه الأرض ، ومن أجلها ، ويُسجل ذلك القرآن والسنة ، بداية من ميلاد موسى عليه السلام بعيداً عن فرعون وعيونه ونجاة موسى في اليم ، ليصل إلى قصر فرعون ، لتكون نجاة بني إسرائيل ، وكانت نجاة بني إسرائيل مهمة موسى بعد التوحيد هي الخروج ببني إسرائيل ، وكانت نجاة بني إسرائيل الموحدين بمعجزة أيضاً ، حتى يصلوا إلى الأرض المباركة ، ثم كان التيه معجزة كذلك لينقرض الجيل الذي ألف الهوان ، وكان في دخولهم الأرض المقدسة بعد التيه معجزة ليوشع بن نون عندما حبست الشمس حتى يتحقق النصر .

وعندما استقر أهل التوحيد على الأرض المباركة وكانوا يستنصرون بآثار موسى عليه السلام في التابوت ، وقد عاد إليهم بعد سلبه ، وفي عودته معجزة .

وقد بعث الله إليهم طالوت ملكاً عليهم يقودهم إلى النصر ، وكان في انتصار الموحدين معجزة عندما قتل داود جالوت ، وداود أصغر من في الجيش يقتله بحجرٍ صغير ، وهذه معجزة أيضاً .

ليقود داود بني إسرائيل ، وهو نبي وملك ، وهو العابد الذي تسبح معه نواميس الكون في تسبيحه لربه من طيرٍ وحجرٍ وجبالٍ ، في معجزةٍ فريدة ، وقد أصبح الحديد ليناً في يده عليه السلام .

ويرثه ابنه سليمان في كل هذه المعجزات وزيادة ، فكان فضل الله عليه ميراث أبيه من النبوة والملك ، ذلك الملك الذي لم ولن يكون لأحدٍ بعد سليمان ، وكانت حاضرته بيت المقدس لتكون عليها المعجزات من تسخير للرياح إلى غوص الجن والشيطان وحفظ الله لهم إلى ذلك الجيش الفريد المكون من الجن والإنس والطير ، إلى حديث النملة وحوار الهدهد ، وقد علمه ربه منطق الطير ، إلى العرش الذي غار في مكانه ليستقر أمام سليمان على الأرض المباركة ، كل هذه المعجزات على أرض بيت المقدس .

هي الأرض التي عاشت عليها أسرة آل عمران ومريم ابنة عمران التي ولدت على هذه الأرض والتي كان يأتيها رزقها من ربها في محراب بيت المقدس معجزة لها ، وهي التي ألقى الكثير أقلامهم لتكون مريم في كفالتهم ، ولكن لا يخرج إلا سهم زكريا عليه السلام ، ليرى الخير والرزق عند مريم ؛ ليُحرك فيه الشوق للذرية ، وتأتيه الملائكة وهو في المحراب أيضاً تبشره بولدٍ سيداً وحصوراً ونبيًّا من الصالحين ، ينال الشهادة على أرض بيت المقدس ، ويفور دمه على أرضها ، حتى يُرسل الله من ينتقم له ، ويسوق اليهود إلى الأسر البابلي .

وقد أصبح بيت المقدس قرية خاوية على عروشها ، ولكن لم تنتهِ المعجزات عليها عندما مرَّ الذي قال : أنى يُحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه ليكون هو معجزة وطعامه وشرابه معجزة ، كذلك وقد أراه الله سبحانه وتعالى كيف تُكسى العظامُ لحماً .

لتتوالى المعجزات على أرض بيت المقدس مع مريم ابنة عمران عندما اتخذت لنفسها مكاناً شرقي المسجد الأقصى ، وعندما جاءها الملك يُبشرها بكلمة الله عيسى ابن مريم ، فيولد عيسى عليه السلام معجزة على أرض بيت المقدس ، والذي

جاءت المعجزات على يديه تترى عندما رُزقت الأم بالثمار تتساقط عليها ، وعندما جاءت به تحمله وتكلم في المهد ، ثم كان إبراء الأكمه والأبرص ، وقد أذن الله له في إحياء الموتى ، واستجاب لدعائه ، فأنزل مائدة من السماء تصديقاً لعيسى عليه السلام .

ثم كان فضل الله عليه ، وقد أنجاه من اليهود فرفعه إليه ليكون له موعد آخر مع بيت المقدس ، عندما يعود إليه في آخر الزمان ، يحكم بشرع الله ، ويرفع راية التوحيد .

وتتوالى المعجزات على الأرض المباركة ، أرض بيت المقدس إلى أن تصل إلى أعظمها شأناً وهي مع الحبيب محمد ﷺ ، في رحلة الإسراء التي صدر القرآن الحديث عنها بسبحان .

ليكون الإسراء إليها معجزة للحبيب ، والمعراج منها معجزة وحركة الزمان وتجلية المكان معجزة كذلك .

وقد بعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء والمرسلين في هذه الرحلة أجمعين ليصطفوا خلف رسول الله ﷺ في المسجد الأقصى يُصلي بهم إماماً .

وقد وصف رسول الله ﷺ قبر موسى والكثيب الأحمر حوله في هذه الرحلة .

ولم تنتهِ المعجزة بمجرد عودة الحبيب إلى مكة ، ولكن تتواصل عندما سأله قومه عن وصف المسجد الأقصى ، فرفعه الله إليه ليراه ، أو جلاه الله له ليصفه تصديقاً للحبيب محمد ﷺ حيث لا مكان لأن الله قد أراد ذلك .

كل هذه معجزات وقعت على أرض بيت المقدس ، وبعضها متعلق بالمكان كذلك .

وقد بقيت أيضاً معجزات ستقع على هذه الأرض ، ونحن ننتظرها ، عندما يُنادي الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله .

وننتظر كذلك يوماً يأتي فيه نبي الله عيسى عليه السلام وهو النبي الموحد الذي يُعلن عن توحيد الله عز وجل ، ويحكم بشرع الحبيب محمد ﷺ .

كل ذلك يُسجله لنا القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وهو ما سوف نراه في هذه الصفحات .

فلقد تحدث القرآن الكريم عن بيت المقدس كثيراً ، ووصفه بأوصاف متعددة ، فهو الأرض المقدسة في سورة المائدة ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ (المائدة: ٢١) .

وهي الأرض المباركة ، وُصفت بالأرض المباركة في خمسة مواضع .

وهي أرض الأنبياء ، وهي محور أساسي في قصص أكثر الأنبياء الذين تحدث عنهم القرآن الكريم ، وهذه الأرض المقدسة المباركة هي من أكثر الأماكن التي حدثت عليها المعجزات ، والتي يسجلها القرآن الكريم وسنة الحبيب محمد ﷺ .

فإنه لكل شيء في هذه الأرض مواقف مع الموحدين من عباد الله سبحانه وتعالى ، فإن لأرضها مواقف ولترابها كذلك مواقف لجوها موقف ، وللطير في جو سمائها مواقف وللدواب على أرضها مواقف ، ولجبالها مواقف ولأحجارها وأشجارها مواقف ، إنها الأرض المباركة التي يُسجل القرآن الكريم أحداثها وأحوالها في سائر مراحلها ، فتحدث القرآن الكريم عنها وقت سيادتها في عهد سليمان ، ولم يغفل الحديث عنها عند خرابها أثناء الأسر البابلي .

فالحديث عن بيت المقدس في القرآن الكريم يشمل جميع أحوالها ، وعن نواميس الكون عليها في أكثر مراحلها القديمة ، فهي أرض المعجزات .

وأول ذلك مع نبي الله موسى عليه السلام ، وهو الذي أنجاه الله سبحانه وتعالى في طفولته بنواميس الكون ، وهو الذي تغيَّرت معه نواميس الكون من أجل الوصول إلى هذه الأرض المباركة ،

فهي الأرض المقدسة التي قال لقومه : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ (المائدة: ٢١).

هذه الأرض التي كانت هدف موسى عليه السلام بعد توحيد الله ﷻ أن يصل بالموحدين إليها وأن يخرج بهم من ذل الفراعنة ، ومن الهوان الذي عاش فيه اليهود في مصر .

فأنجاه الله ﷻ هو وقومه من فرعون وجنوده بنواميس الكون ، حتى يصل إلى هذه الأرض المباركة ، والحق سبحانه وتعالى يتحدث عن هذه المعجزة لنبي الله موسى عليه السلام ونجاة بني إسرائيل في خروجهم من مصر حتى يصل إلى هذه الأرض المباركة ، حيث يقول ربنا : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾

(الشعراء: ٦٣-٦٧).

فانظر كيف أن الله ﷻ قد أنجاهم بهذه المعجزة حتى يصلوا إلى الأرض المقدسة ، ولكن عندما أمرهم موسى عليه السلام بدخولها سقطت همتهم ، واثاقلوا إلى الأرض ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن

﴿ تَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ (المائدة:٢٢) فكان حكم الله ﷻ عليهم، ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (المائدة:٢٦) .

وكان التيه أيضاً معجزة حتى ينقرض ذلك الجيل الذي أَلِفَ الذل والهوان ، ويخرج جيل آخر ، تربى على العزة والكرامة من الموحدين حتى يتحقق لهم التمكين في الأرض .

ولكن في هذه السنوات توفي موسى عليه السلام وكانت قيادة بني إسرائيل من بعده ليوشع بن نون[1]، فتى موسى عليه السلام ، لتتحقق على يديه معجزة أخرى على هذه الأرض المباركة أو من أجلها .

فإنه عندما خرج بالموحدين إلى الأرض المباركة ، ودارت الحرب وأوشكت الشمس على الغروب ، دعا ربه سبحانه وتعالى أن يحبس الشمس حتى يتحقق النصر للموحدين فاستجاب الله سبحانه وتعالى لدعائه ، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ : «لم تُحبس الشمس على أحد من الناس إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس»[2]، وقد أشارت التوراة إلى هذه المعجزة[3].

---

(١) تفسير الطبري ، ١٣٤/٢ .

(٢) الإمام أحمد : المسند ، حديث رقم ٨٢٩٨ .

(٣) سفر يوشع ، ١٣/١٠ .

فانظروا كيف توقفت حركة الزمن على هذه الأرض ، وتوقفت الشمس في دورتها ، وهذا الكون بكل ما فيه من المجرة إلى الذرة يتوقف ، ويتوقف الزمان ، وتقف حركة الشمس حتى يصل الموحدون إلى النصر ، ويُتم الله سبحانه وتعالى عليهم فتح هذه الأرض المباركة ، وقد يقول قائل : كيف تتوقف حركة الزمان والحديث صحيح [1] ، وتوقفت حركة الزمن لأن الله أمر بذلك ، فسبحانه يقول للشيء كن فيكون .

ومن المعجزات الواقعة على هذه الأرض المباركة كذلك في عهد نبي الله داود عليه السلام ، ولقد تحدث القرآن الكريم عنه كثيراً ، وكذلك سنة الحبيب محمد ﷺ ، والقرآن الكريم يُسجل تناسق الكون بعناصره مع نبي الله داود عليه السلام على أرض بيت المقدس ، الحجر والشجر والطير والجبال ، كل ذلك في تناسق رائع مع نبي الله داود عليه السلام يُسبح الله ، ويأتمر بأمر الله سبحانه وتعالى .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن قتل داود عليه السلام لجالوت ، وجالوت يخشاه الجيش بأسره ويستطيع أن يهزم جيشاً

---

(١) تعليق شعيب الأرنؤوط ، إسناده صحيح على شرط البخاري ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٢٠٢ .

بمفرده ، يُنادي على من يخرج لقتاله ، فلا يخرج أحد إلا ذلك الصبي الصغير في الجيش أصغرهم سنًّا ، إنه داود عليه السلام يخرج لقتاله ، ولا يستطيع أن يلبس آلة الحرب ، ولكن يقتله كما قال المفسرون[1]، بحجرٍ يرمي به جالوت يكون سبباً في قتله ، انظروا إلى هذا الحجر الصغير في كف صغير يقتل أعتى الفرسان ، وينهزم الجيش بسبب ذلك ، ويكتب النصر للموحدين ، فانظروا كيف يكون الحجر في صفوف الموحدين .

ويتحدث القرآن الكريم عن قتل داود لجالوت في قوله تعالى : ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة:٢٥١).

ومع نبي الله داود عليه السلام ترتبط الأرض والسماء ، ويتحرك معه الحجر والشجر والجبل في تناسق جميل ما أروعه وأحلاه ، حيث يقول ربنا سبحانه تعالى : ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا سَخَّرْنَا

---

(١) تفسير الطبري ، ٣١٩/٥ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، تفسير ابن كثير ، ٦٦٩/١ .

﴿ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ (ص:١٧-١٩).

ولك أن تتخيل هذا المشهد : نبي الله يُسبح وتُسبح معه الجبال في الأرض والطير في جو السماء الكل يسبح بتسبيحه ، كل ذلك على أرض بيت المقدس ، وإن كانت الكائنات تُسبح في كل مكان ، ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ (الإسراء:٤٤)، إلا أن الله ﷻ أخبر عن هذا التناسق بين عبد من عباده والأرض والطير في السماء على أرض بيت المقدس .

كما أخبر ربنا سبحانه وتعالى عن عنصر آخر خرج عن طبيعته ، وأصبح ليناً بتسبيح دواد عليه السلام إنه الحديد أصبح مطاوعاً بين يدي داود عليه السلام على أرض بيت المقدس تلك الأرض المباركة : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ (سبأ:١٠) .

إنها الأرض المباركة أرض المعجزات التي تشدو عليها عناصر الكون بتوحيد الله ﷻ ، الأرض والجبال والطير في السماء ، الكل يُسبح بتسبيح واحد ، الكل يُسبح معاً .

وأكثر من ذلك يكون مع سليمان عليه السلام ، وهو الذي قال فيه ربه:﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ

وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾

(النمل:١٦،١٧).

ولك أن تتخيل هذه المعجزة على أرض بيت المقدس ، نبي الله سليمان يعلمه ربه سبحانه وتعالى منطق الطير ، وهو نبي وملك ، ينقاد له كل شيء على وجه الأرض ، ويتحدث إلى دوابها .

ألم يُسجل القرآن الكريم كلمات نملة على هذه الأرض عندما خاطبت بني جنسها : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (النمل:١٨،١٩).

ولك أن تتخيل هذا الجيش العجيب الذي لم يكن إلا لسليمان عليه السلام ، الجن والإنس والطير معاً ينقاد لنبي الله سليمان على أرض بيت المقدس ، وهو الذي دعا ربه : رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنك أنت الوهاب ،

فاستجاب الله دعاءه ، وكان ذلك على هذه الأرض المباركة ، وهي حجر الزاوية في هذا الملك ، فكل الأرض لها تبع ، وانقادت الملوك لملكها سليمان عليه السلام . وسخَّر الله الجن بين يدي سليمان تأتمر بأمره : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾(سبأ:١٢،١٣).

فكل شيء على هذه الأرض المباركة طائع لأمر الله سبحانه وتعالى يأتمر بأمر نبيه سليمان عليه السلام ، الأرض وما عليها من دواب والطير في السماء .

ألم يتحدث القرآن الكريم عن الحوار الذي دار بين سليمان عليه السلام والهدهد ، ذلك الحوار الذي نتعبد به لله عز وجل بتلاوة كلماته وحروفه ، ولقد كان هذا الحوار على أرض بيت المقدس : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً

تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾

(النمل: ٢٠-٢٨).

أليست هذه معجزة على أرض المعجزات ؟ إنها الأرض المقدسة ، إنها الأرض المباركة ، إنها أرض بيت المقدس .

إنها الأرض التي استقر فيها عرش ملكة سبأ بقدرة الله سبحانه وتعالى بعد أن غار في مكانه [1] ؛ لتجد الملكة العرش أمامها عند سليمان .

فكل ما على الأرض طائع لأمر نبي الله ، بأمر الله سبحانه وتعالى حتى الريح فهي مسخرة بأمر الله لسليمان عليه السلام ، حتى يتحقق له الملك الذي طلبه من ربه ، فاستجاب له فوهب له الملك الذي لا يكون ، ولن يكون لأحدٍ من بعد نبي الله سليمان عليه السلام .

---

(١) تفسير الطبري ، ١٩/٤٦٨ ، تفسير ابن كثير ، ٦/١٩٣.

إنها الأرض المباركة تعيش عليها أسرة طائعة لله ﷻ ، وتعمل على خدمة بيت الله والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، فيصطفيها الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران:٣٣) .

وآل عمران أسرة تعيش على أرض بيت المقدس ، عملها الدعوة إلى الله ﷻ ، والقيام على بيوت الله ، في أرض بيت المقدس ، فتحقق لها المعجزات ، على هذه الأرض المباركة ، فهذه مريم ابنة عمران ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران:٣٧).

يأتيها رزقها من عند ربها سبحانه وتعالى ، وهي في عبادتها في محرابها على أرض بيت المقدس ، وكما يقول المفسرون[1] تأتيها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، أو تأتيها الفاكهة في غير حينها ، حقًّا إنها أرض المعجزات ، نعم إنها مريم التي تتخذ لنفسها مكاناً شرقي المسجد الأقصى ، كما يقول المفسرون[2].

---

(١) تفسير الطبري ، ٤٦٨/٦ ، تفسير ابن كثير ، ١٩٣/٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٢١٩/٥ .

فتُبشر بكلمة الله عيسى عليه السلام على أرض بيت المقدس

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾
فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا
سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ
إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ
لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ
هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا
مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ * فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا
ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ
نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ
سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا
﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى
نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ
قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ
هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ
إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى
عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا
كُنتُ وَأَوْصَىٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا
بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ

أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (مريم:١٦-٣٥).

ثم انظر إلى الآيات وهي تتحدث عن مريم ، ولها مواقف على هذه الأرض ، ذلك الجدول[1] الذي يجري من تحتها ، في قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (مريم:٢٤) ، وهذه الثمار الطيبة التي تتساقط من فوقها في قوله تعالى: ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم:٢٥) ، وكما يقول ربنا ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون:٥٠) ، هي بيت المقدس ، كما نقل ابن كثير[2] عن الضحاك وقتادة ، فهي أرض المعجزات .

ألم يكن ميلاد عيسى عليه السلام ووضعه على أرض بيت المقدس معجزة من الله عز وجل تحدث على أرض بيت المقدس ، كانت معجزة عيسى عليه السلام وهو الذي تكلّم في المهد على هذه الأرض ، وأذن له الله سبحانه وتعالى في إبراء الأكمه والأبرص على هذه الأرض ، وأذن له في إحياء الموتى لتكون معجزة لنبيه عيسى عليه السلام ، واستجاب الله سبحانه وتعالى له ، فأنزل

---

(١) تفسير الطبري ، ١٥/٢٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ، ٥/٤٧٧ .

مائدة من السماء ، تكون عيداً لأتباعه على أرض بيت المقدس ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة: ١١٢-١١٥).

وهو الذي سوف يكون له مع أرض بيت المقدس ، تلك الأرض المباركة موعد عندما ينزل في آخر الزمان يقتل الدجال ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، ألا يحدث هذا على هذه الأرض المقدسة !!

إنها الأرض التي رُزق عليها زكريا عليه السلام بيحيى عليه السلام وقد استجاب الله سبحانه وتعالى إلى دعاء زكريا ، ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

(آل عمران: ٣٩) .

ورُزق زكريا بيحيى وهو الذي جاءت الملائكة تُبشر به وتذكر اسمه ، فهو النبي المسمى من عند ربه بهذا الاسم - يحيى - وجاءت البشرى لزكريا عليه السلام وهو في محراب من محاريب بيت المقدس .

تلك الأرض المباركة ، التي قُتل عليها يحيي عليه السلام فلم تقبل دمه ، وظل يفور[1] على أرضها حتى أرسل الله سبحانه وتعالى من ينتقم من قاتليه .

إنها الأرض المباركة التي تحدث عنها القرآن الكريم في كل مراحلها قوة وضعفاً ، فلم يغفل الحديث عنها ، حتى في وقت خرابها ، في فترة الأسر البابلي بعد قتل يحيي عليه السلام تحدث عليها المعجزات كذلك .

عندما يمر عليها من يتفكر في البعث والنشور ، وكانت خاوية على عروشها ، فقال : أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ

---

(١) تفسير الطبري ، ٣٨٤/١٧ .

وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ٢٥٩) .

وأكثر المفسرين[١] على أن ذلك حدث في بيت المقدس ، أثناء الأسر البابلي ، فهذا الرجل أماته الله مائة عام على هذه الأرض ثم بعثه ، وأمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه هذا الطعام والشراب الذي ظل مائة عام على حاله لم يتغير ، على هذه الأرض المباركة لأن الله قد أراد ذلك ، فهي أرض المحشر والمنشر ، كما قال[٢] الحبيب محمد ﷺ .

والحبيب محمد ﷺ له مع هذه الأرض المباركة مواقف ، ألم يتحدث القرآن الكريم عن معجزة الإسراء والمعراج بالحبيب محمد ﷺ ، الإسراء إليها والمعراج منها ، حيث يقول ربنا سبحانه وتعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١) .

ألم يكن الإسراء بالحبيب محمد ﷺ إلى هذه الأرض المباركة معجزة !!

---

(١) تفسير الطبري ، ٤٤٣/٥ ، تفسير ابن كثير ، ٦٦٨/١ .
(٢) رواه أحمد والطبراني وابن ماجه .

وإن تحدث البعض عن الزمان والكيفية ، ألا يكفي أن الله أخبر بذلك ! وإذا أخبر الله فلا كيف ولا زمان مع من يقول للشيء كن فيكون .

ولقد تحدث رسول الله ﷺ عن معجزة أخرى له على هذه الأرض ، عندما أخبر أن الله قد جمع له الأنبياء ، فصلى بهم إماماً في المسجد الأقصى .

إنها أرض المعجزات ، والواقع يشهد بأن هذه الأرض المباركة هي أرض المعجزات ، فقد أخبر رسول الله ﷺ أن الطائفة المنصورة الظاهرين على الحق ، والذين هم في رباط إلى يوم القيامة ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس ، في قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ، إلا ما أصابهم من اللأواء ، قيل : أين يا رسول الله ، قال : ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس »[1].

والواقع يشهد لهذه الطائفة المرابطة تُدافع عن المسجد الأقصى ، وكذلك يشهد لهذه الأرض المباركة ، والتي وصفها القرآن الكريم بالبركة في أكثر من خمسة مواضع ، في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ

---

(١) رواه أحمد والطبراني .

ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ (الإسراء:١) ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:٧١) ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾ (الأعراف:١٣٧) ، وفي قوله تعالى ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴾ (الأنبياء:٨١) ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ (سبأ:١٨) .

فلقد وُصفت هذه الأرض بالأرض المباركة ، والملاحظ أنها وُصفت بالبركة في القرآن الكريم بلفظٍ مُطلق ، ووصفت في التوراة أنها أرضٌ تدرُ لبناً وعسلا ، والفرق أن وصفها في التوراة هو بركة مادية ، أما وصفها في القرآن فهو بركة بلفظٍ مُطلق لأهل التوحيد ، فقد بارك الله في كل شيء فيها ، بارك في أرضها وما تُنتجه من زيتون وثمار بارك في أهلها الذين عصبوا رؤوسهم بعصابةٍ مكتوبٌ عليها « لا إله إلا الله محمد

رسول الله» فهم في رباطٍ إلى يوم القيامة ، بارك الله في شبابها ورجالها ونسائها وأطفالها ، فإنها الأرض نفسها التي تعيش عليها الفلسطينية والإسرائيلية ، وأعلى نسبة إنجاب عند الفلسطينية ، وأعلى نسبة عقم عند الإسرائيلية وهما يعيشان معاً على أرض واحدة ، إنها الأرض التي بارك الله فيها لأهل التوحيد .

بارك الله في حجارتها ، تلك التي سوف تنطق وتُنادي على أهل التوحيد : « يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله . . . » كما يقول رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تُقاتلون اليهود ، فيختبئ اليهودي خلف الحجر والشجر ، فيُنادي الشجر والحجر : يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله »[1].

إنها معجزة أخرى سوف تتحقق على هذه الأرض المقدسة ، لأتباع الحبيب محمد ﷺ ونحن ننتظرها ، ونسأل الله أن يُعجل بتحرير المسجد الأقصى الأسير .

* * *

---

(١) رواه مسلم والإمام أحمد .